ندوات الطليعة

التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب

د.عفيف البوني د.هشام جعيط د. محمد عابد الجابري
د.غالي شكري د. سعيد بنسعيد د. السيد ياسين





التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب العربي

عقدت هذه الندوة التي أعد لها ونظَمها مركز دراسات الوحدة العربية ، في فندق « المشتل » ، بتونس العاصمة ، يوم الاحد في ١٨ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٨٧ . وقد شارك فيها طبقاً للحروف الهجائية كل من :

د. سعيد بنسعيد
استاذ الفلسفة والاجتماع في جامعة محمد الخامس ـ الرباط.

د. عفيف البوني
باحث في قضايا الفكر القومي والثقافة العربية ، وعضو هيئة تحرير مجلة شؤون عربية.

د. غالي شكري
مفكر عربي من مصر.

د. محمد عابد الجابري
أستاذ بكلية الآداب في جامعة محمد الخامس ـ الرباط .

د. هشام جعيط
استاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية .

أدار الندوة : **أ. السيد يسين**
مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

شهد العقد الأخير مظاهر متعددة تشير إلى تدهور عام في مسيرة العمل العربي المشترك . فالتكامل الاقتصادي تباطأت خطواته على عكس ما توقع الكثيرون عشية انعقاد مؤتمر قمة عمان عام ١٩٨٠ ، والعلاقات السياسية بين الأقطار العربية ازدادت توتراً وتعددت الخلافات الحادة ، وزاد الإتجاه نحو الإقليمية كبديل ممكن التحقيق يعوض الفشل في تحقيق تكامل على المستوى القومي ، وهو الإتجاه الذي يحمل في طياته من الناحية النظرية على الأقل إمكان تحقيق درجة من الأمن والإعتماد على الذات ، إلا أنه قد يدعم ميولاً إنفصالية تشوبها الإقليمية الفكرية الضيقة .

إلا أنه رغم تعدد هذه المظاهر ، وجدت ظواهر إيجابية أهمها ظاهرة « تكامل الفكر » ، فقد شهد العقد الأخير نشاطاً بارزاً في مجال الإتصال الفكري في الوطن العربي بشكل عام ، وبين مشرقه ومغربه بشكل خاص . اهمية هذه الظاهرة تبرز من عدة نواحي اهمها :

أولاً : إنها تأتي بعد فترة طويلة انقطع خلالها أو كاد ينقطع اتصال مفكري المشرق بمفكري المغرب . وقد لعب الإستعمار الأوروبي دوراً مهماً في تحقيق هذا الإنقطاع .

ثانياً : إن حركة الاتصال بين المشرق والمغرب على صعيد الفكر خلال فترة الاستعمار ، وهي حركة ضعيفة ومتقطعة ، كانت في الغالب حركة في اتجاه واحد من المشرق الى المغرب .

ثالثاً : إن هذه الحركة التي كانت في غالبها في اتجاه واحد ، اقتصر مضمونها على بعض أبعاد الفكر الديني والإصلاح . بينما الحركة التي شهدها العقد الأخير ، إلى جانب أنها متواصلة وكثيفة ، لم تقتصر على بعد واحد ، بل تعددت أبعادها ومضامينها ، ولم تقتصر على اتجاه واحد ، بل سارت في الاتجاهين .

رابعاً : إن الحركة الجديدة لتكامل الفكر العربي تميزت بظاهرة الانتقال المادي ، ليس فقط للفكر عن طريق الكتب والمقالات ، ولكن أيضاً بانتقال المفكرين انفسهم واختلاطهم ببعضهم .

خامساً : إن عدداً متزايداً من مفكري المغرب العربي صار يكتب باللغة العربية ، أي أنه خرج من حيز الكتابة لمجتمع اقليمي محدود ولنخبة ضيقة الى مجتمع قومي ونخبة أكثر اتساعاً .

سادساً : إن كثيراً من كتابات المفكرين المشرقيين صارت تناقش وأحياناً تتبنى وتطور مقولات وآراء أطلقها مفكرون من المغرب العربي .

سابعاً : إن ما يسمى بقضية العروبة والاسلام قد اكتسبت بفضل هذه الحركة الفكرية المتصلة والكثيفة ابعاداً جديدة وعمقاً تطبيقياً مهماً، ساهمت من ناحية في تخفيف حدة العنصر الرومانسي في الفكر القومي المشرقي ، ومن ناحية أخرى هزمت كثيراً من ادعاءات التناقض بين العروبة والاسلام .

ثامناً : كذلك اعيد تقويم بعض مسلمات شاعت في المشرق العربي عن المغرب العربي وثبت زيفها أو ضعفها ، منها ما يتعلق بأقليات المغرب العربي وبمشكلة التعريب وبالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وبقضايا التراث والمعاصرة ... الخ .

تاسعاً : ازالت هذه الحركة التي اتّسم بها العقد الأخير ، بعضاً من سوء الفهم بين مفكري المشرق ومفكري المغرب ، وهو العنصر الذي تسبب في شعور لدى الطرفين ، إما بالتعالي أو بعقدة النقص .

عاشراً : دعمت هذه الحركة الثنائية الاتجاه ، موقف انصار التعريب في مواجهة النخبة الفرانكفونية . وآثار ذلك واضحة في مختلف أقطار المغرب العربي .

حادي عشر : ساهم مركز دراسات الوحدة العربية ، من خلال مجلته « المستقبل العربي » وندواته وكتبه في تحقيق قدر كبير من التفاعل بين مفكري المغرب والمشرق العربيين ، فقد حضر

ندوات المركز التسعة عشر على مدى التسع سنوات الماضية سبعون مفكراً من المغـرب العربي الكبير ، وبعضهم حضر أكثر من ندوة واحدة وبلغ عدد من حضر الندوات المختلفة منهم ١١٢ مفكراً مغربياً ، التقـوا خلالهـا وتعرفـوا على مفكرين من المشـرق العربي . كمـا ساهم في الكتـابة في « المستقبل العربي » حتى شهر تشرين الأول/اكتـوبر ١٩٨٧ ستـة وسبعون مفكـراً من المغرب العربي ، وبعضهم كتب فيها أكثر من مرة وبلغ مجموع مساهماتهم المختلفة ١٢٣ مساهمة ، وأتيح من خلالها التعرف على كتاباتهم في المشرق العربي . كما نشر المركز سبعة كتب مؤلفة كلياً أو جزئياً من قبل كتاب من المغرب العربي . وقد مثّل ذلك كله قناة مهمة للتواصل والتفاعل الثقافي بين مفكري المشرق والمغرب العربيين .

ولذلك تأتي حلقة النقاش هذه التي أعدّ لها ونظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، وعقدت في تونس العاصمة يوم الاحد ١٨ تشرين الأول/اكتـوبر ١٩٨٧ لاستـطلاع رأي نخبة من المفكـرين العرب ، مشارقة ومغاربة ، حول الموضوع ، كخطوة أولى نحو الإعداد لدراسة شاملة عن التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب العربي بشكل عام ، وإسهام مفكري المغرب العربي في الفكر العربي المعاصر بشكل خاص .

● أ. **السيد يسين** : يسرني باسم مجلة « المستقبل العربي » أن أرحب بأعضاء الندوة : د. هشام جعيط ، د. سعيد بنسعيد ، د. عفيف البوني ، د. غالي شكري ، ود. محمد عابد الجابري .

موضوع هذه الندوة عن الفكر المغربي المعاصر . وينـطلق اهتمامنا بهذا في ضـوء بعض المؤشرات الثقافية ، التي تدل على أن هناك تفاعلات بين المغـرب والمشرق آخـذة في الاتساع والعمق في السنوات الأخيرة ، يكشف عنها على سبيل المثال وجود كتب أساسية أصدرها مفكرون مغاربة أثّرت تأثيراً واضحاً في مجريات التفكير المشرقي ، إذا صح التعبير . وقد أذكر هنا على سبيل المثال مؤلفات د. عبد الله العروي ، د. هشام جعيط ، و د. محمد عابد الجابري . في هذا الإطار نريد أن نطرح مجموعة من الأسئلة . وفيما يلي جدول أعمال مقترح للندوة قد توافقون عليه ، وقد نعدّله . لدي أربعة أسئلة رئيسية :

السؤال الأول : عن الصلات التاريخية بين الفكر العربي المشرقي والمغربي .

السؤال الثاني : هل حدث انعزال بين الفكر المشرقي والمغربي . متى ولماذا ؟

السؤال الثالث : هل هناك نهضة راهنة في الفكر المغربي ؟ ما هي علاماتها ؟ وما هي أبرز التيارات الفكرية الفاعلة الآن في المغرب ؟ وما هي أبرز الأعمال الفكرية الموجودة في الساحة ؟

والسؤال الأخير : هل بدأ التفاعل بين الفكر المشرقي والمغربي ، وما هي الآفاق المستقبلية لهذا التفاعل ؟ وما هي المشكلات المعرفية والمنهجية والنظرية المطروحة ؟

هذه أربعة أسئلة مطروحة نفتح النقاش حولها ، أولاً حول مدى مناسبتها ، وحول ما إذا كان يمكن أن نضيف إليها أو نحذف منها .

د. عابد الجابري تفضل.

○ **د. الجابري** : أنا أفضّل في الحقيقة أن يكون موضوع الندوة هو التفاعل الثقـافي بين المغرب والمشرق . أي الأخذ والعطاء ، حتى لا يتركز الحوار أو الحديث عن المغرب بأقطاره الثلاثة ، وننسى فضل المشرق على المغرب .

ربما يعرف إخواننا المشارقة سلفاً أن المشرق هو الذي أمدّ المغرب العربي بكثير من البراعة الثقافية والتيارات الفكرية . وأعتقد أنه عند المغرب شيء آخر غير ما يعطيه اليوم ، وهو كيفية توظيفه لما أخذ عن المشرق ، سواء في القرن الماضي ام في هذا القرن . فالتيارات الفكرية منذ الوهابية إلى

سلفية عبده إلى الفكر القومي المعاصر ، كانت تأتي إلى المغرب ، ولكن تُلون بلون المشاغل المغربية وبلون طبيعة الوضع الثقافي العام في المغرب . ليس هذا وحسب ، بل لربما يمكن القول ـ وهذا يجب أن يقال في الحقيقة ـ إن إطلاع المغاربة ، أو قسم كبير من المغاربة وهذا يشمل المغرب الأقصى خاصة ، على الفكر الأوروبي ، تم في قسم كبير منه عبر الترجمات والتأليفات للمشرقيين . الاتصال المباشر مع الثقافة العربية كان محدوداً في نخبة معينة لم تكن تنتج ثقافة ولا توصلها للجماهير . المصدر الغني والموظف عندنا في المغرب خاصة هو الفكر الأوروبي المنقول إلينا عبر الترجمة المشرقية . هذا شيء يجب ألا ننكره ، ويجب أن نعترف به ، ونؤسس عليه نظرتنا للأمور .

ماذا حدث بعد ذلك ؟ بعد الخمسينات بدأت الأمور تتغير شيئاً فشيئاً في المغرب ، وفي المغرب العربي عامة ، لأسباب لعل أهمها هو أن قضية التعليم في المغرب العربي ، وفي المغرب الأقصى خاصة ، كانت هي القضية الوطنية الأولى في الكفاح الوطني ، نظراً إلى التحدي الذي كان الفرنسيون يواجهون به العروبة والثقافة العربية في المغرب . فمنذ الخمسينات ، ومنذ الاستقلال خاصة ، دخلت أفواج من التلاميذ إلى المدارس ؛ مدارس أهلية معربة ، مدارس حكومية ، وبدأ التعريب وكان هناك كمّ هائل وقفزة كمية هائلة بدأت تعطي أُكلها أو ثمارها الكيفية ابتداء من السبعينات . وصادف الأمر في السبعينات شيئين اثنين : التيار المعروف في فرنسا وهو التيار اليساري ولكنه أيضاً ذو خطابات جديدة ، والركود النسبي في النشاط الثقافي في المشرق العربي ، وخاصة في مصر .

والركود النسبي في المشرق جعل النخبة المغربية في المغرب الأقصى خاصة تبرز . ولكن هناك عامل أساسي لا بد من ذكره ، وهو أن الثقافة في المغرب الأقصى ظلت دائماً ثقافة معارضة أساساً . منذ الحماية كانت الثقافة ثقافتين : ثقافة الحماية التي تدار عن طريق الإذاعة والوسائل الرسمية ، والثقافة الوطنية التي كانت تبحث عن أدوات خاصة بها وشعبية . ولم يتغير الوضع في المغرب الأقصى ، بل استمر على حاله كما كان في عهد الحماية ، أي ان الدولة بقيت في جانب ولها شرعيتها التاريخية ، والمعارضة بقيت في جانب ولها شرعيتها التاريخية . وبقيت الثقافة ثقافتين ، ثقافة وسائل الاعلام الرسمية التي قوطعت وما زالت تقاطع من تيارات المثقفين الشباب الصاعد والثقافة الوطنية . ومسألة أخرى قائمة في المغرب وهي، وجود نوع من الليبرالية النسبية المعروفة في المغرب التي تسمح بتعدد الأحزاب ، وتسمح بتكوين جمعيات ، وتسمح باصدار مجلات ، وتسمح بنوع من النشاط الثقافي المستقل . فاكتسب النشاط الثقافي هكذا طابعاً نضالياً ، وعصامياً ، أي امتزج هذا الجانب مع الجوانب الأخرى التي ذكرناها ، فكان هذا النوع من الظهور المفاجيء بالنسبة للمشرق ، وبالنسبة لأنفسنا نحن في المغرب ، فوجئنا بهذه الظاهرة الثقافية ، وهي ظاهرة عامة تشمل الجانب الفكري الفلسفي ، كما تشمل الجانب الأدبي النقدي ، كما تشمل جانب الأغنية ، وجانب الفنون التشكيلية ، وجانب المراة أيضاً . إنها ظاهرة عامة بطبيعة الحال وهي عبارة عن وعود في الحقيقة ، وعود ربما بات بعضها في مرحلة العطاء ، وبعضها فيما أعتقد سيبلغ مرحلة العطاء ، إذا استمر الوضع على ما هو عليه على الأقل ، وإذا لم يصبح سيئاً .

إذن ، أعتقد أن المسألة نسبية ، اي هناك تراجع في المشرق لأسباب معروفة ، وأيضاً تراجع اللغات الأجنبية في المشرق ، وانقطاع الإتصال مع أوروبا عن طريق البعثات . نحن في المغرب لدينا الآن ١٥ ألف طالب يدرسون في فرنسا ، ١٢٦ ألفاً في المغرب كطلاب جامعيين . ويلاحظ حتى ما قبل سنتين ، أن أي طالب كان يحصل على البكالوريا كان له الخيار بين منحة إلى الخارج إلى فرنسا ، أو منحة داخل المغرب .. سواء أكان غنياً أم غير غني . هذا من الأمور التي جعلت الجوانب الكمية هذه

تتحول إلى هذا النوع من الكيف الذي نرجو أن يستمر وأن يعطي ثماره . ما ذكرته ينطبق بكيفية عامة على المغرب الأقصى ، ولا أستطيع أن أتحدث عن الجزائر أو عن تونس بهذه الكيفية ، والأخ هشام من أدرى الناس بالموضوع ، إنما لا بد أن نشير إلى أن العمل العلمي الأساسي فيما أعتقد للأخ هشام ، ليس هو كتاب **الإسلام وأوروبا** أو الغرب ، بل الأطروحة المجددة التي نشرت بالعربية والموزعة بالفرنسية وهي عن الكوفة ؛ هو عمل تأصيلي جديد منهجي ، لربما سيكون له صدى عميق جداً عندما يوزع وينشر خصوصاً لدى الباحثين الأكاديميين .

● **أ . السيد يسين**: أعتقد أن الصياغة التي صاغها د . الجابري بموضوع الندوة قد تكون أكثر مناسبة عندما نتحدث عن التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب ، وقد أكد حقيقة تاريخية أن الفكر المشرقي كان معروفاً في المغرب ، وتم التفاعل معه ، وأثّر في اتجاهات المثقفين المغاربة . وكأننا نقول ببساطة إن هناك تفاعلاً جدلياً فكرياً بين المشرق والمغرب ، ولعل د . هشام جعيط يحدثنا عن وجهة نظره في هذه القضية . د . هشام جعيط تفضل.

○ **د. هشام جعيط** : في الحقيقة ، إذا سمحتم ، أريد أن أرجع الى الماضي ولو لفترة قصيرة ، العلاقة بين المشرق والمغرب من قديم الزمان كانت ، في الوقت نفسه ، علاقة تبعية في الأغلب من المغرب الى المشرق ، لأن المشرق كان مركّزاً في قلب مركز الخلافة ، في تلك الفترة من القرون الوسطى . الحقيقة ان المشرق لم يكن المشرق العربي فقط ، بل كان دار الخلافة ، أو كان يستوعب المجال الإيراني بحيث كان متسعاً جداً ، أكثر اتساعاً من الآن ، والمغرب كان أكبر أيضاً من الآن لأنه كان يضم « الأندلس » . الأندلس يدخل في المجال الحضاري والثقافي المغربي ، بل كان عطاء الأندلس هو العطاء الأكبر في هذا المجال . قلت انها علاقة تبعية لكن مع نوع من المقدرة على الإبداع في المغرب ، أي المغرب الكبير بما فيه الأندلس ، « الجناح الغربي من الخلافة » . فأنتم تعرفون عطاء الأندلس الكبير من الوجهة الثقافية ، والأسماء الكبرى التي خرجت من الأندلس من إبن حزم إلى إبن رشد إلى غيرهما من الكتّاب والفلاسفة المجددين . في الحقيقة تعرفون أيضاً في تلك الفترة ، في الفترة الأولى بالخصوص ، أي في القسم الأول من الفترة الكلاسيكية ، كان يمكن للجناح الشرقي أن يلعب دوراً أكثر من الجناح الأقصى بين المغرب ، ثم فيما بعد ورث المغرب الأقصى كثيراً من الإرث الثقافي الأندلسي ، عندما انحصرت الفعالية الثقافية في الأندلس . إن عطاء المغرب الكبير بالمعنى الحضاري ، بما فيه الأندلس ، كان عطاء منذ القديم في الحقيقة ، جيد في النوعية ، ولكن كمياً لم يكن كبيراً ، لم يكن يوازي عطاء المشرق . لقد كان إسهاماً كبيراً في الحقيقة منذ القديم ، ثم انحسر جغرافياً مفهوم المغرب بضياع الأندلس.

ووقعت فترة الإنحطاط ، التي كانت عامة وشاملة ، بعد مرحلة إبن خلدون . وإبن خلدون نفسه هاجر إلى مصر ، وهذا يعني شيئاً كبيراً في الحقيقة ، يعني أنه اعترف بأن مصر صارت القطب الثقافي على الأقل ، والحضاري أيضاً ، في الوطن العربي ، والواقع أن دور مصر بدأ أساساً من الفاطميين ، وصارت مصر قاعدة ثقافية في تلك الفترة بصفة خاصة لانحسار دور العراق .

العراق في الفترة الأولى كان هو المركز مع الشام ، وأخذت مصر تلعب الدور الرئيسي إلى حدود القرن التاسع عشر ، وحتى العشرين . في فترة الإنحطاط بعد إبن خلدون ، عرفنا في المغرب أيضاً هذا الإنحطاط ، ولكن بصفة بشعة في تونس مثلاً . سأتكلم عن تونس ، في القرن الثامن عشر ، عندما عرفت تونس الإحتلال العثماني ، وتكلم الشيخ أبو دياب مثلاً عن ضياع العلم . والعلم ، يعني العلم الشرعي ، والعلم الشرعي مهم ، كاد في تلك الفتر أن يضيع ، أن يفقد تماماً. ناهيك عن العلوم اللغوية والعربية ...الخ. بحيث عرفنا فترة فراغ كبير. خلال هذا الفراغ الكبير حرصت مؤسسات - لا

بد أن تُذكر ـ على صيانة هذه العلوم طوال أربعة قرون قبل عصر النهضة وهي : جامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، فقد حرصا على صيانة التراث على الأقل . وبقي التأثير المشرقي موجوداً على الدوام، ولكن عن طريق التفاسير والشروح . في تلك الفترة ما بين القرن ١٥ والقرن ١٩ كان عطاء المغرب الأقصى من وجهة العلوم المعروفة في تلك الفترة ، وهي أساساً العلوم الشرعية ، عطاء حسناً . بالنسبة لتونس ، كانت تونس تستهلك في الوقت نفسه عطاء المغرب عبر عطاء فاس ، وعطاء مصر ، وهي حافظت على التراث وعلى اللغة إلى حد ما . وقع إحياء نسبي في القرن ١٧ بعد فترة من التأزم . وفي القرن ١٩ عرف المشرق قفزة كبيرة هي قفزة النهضة ، التي كانت أساساً نهضة لغوية وأدبية وإعادة العلاقة مع التراث وانعاش اللغة ، وهو أمر مهم وكبير على ما أعتقد . فهذه النهضة الأدبية التي تبعها تيار الإصلاح الديني ، كانت قاعدته هي المشرق . والمشرق يعني هنا أساساً الشام ومصر . فالتيار كان يتحرك بين الشام ومصر ، في بعض الأحيان كانت الدفعة تأتي من الشام ثم تنتقل الى مصر . مصر كانت تستقطب وترحّب لأسباب سياسية واجتماعية ولكنها ، فيما بعد ، لعبت دوراً خلاقاً . بدءاً من ١٩٠٠ عرفت مصر في اعتقادي فترة الابداع والخلق من ١٩٠٠ أو ١٩١٠ أو ١٩٢٠ عندما جاءت أجيال من كبار الكتّاب والمفكرين ، وصارت مصر بين الحربين العالميتين مكاناً مشعاً فأثرت كثيراً . ذكر هذا الأخ د. محمد عابد الجابري فقال إن بلاد المغرب الأقصى وتونس بالخصوص عرفت تأثيراً كبيراً من الشرق ، أي من الشام ومصر ، وعادة عن طريق مصر ، تأثير كبير فيما يخص إحياء اللغة. الحقيقة انه حتى في الفترة الاستعمارية فيما يخص تونس ، وقع نوع من الاحياء الفكري . مثلاً عرفنا في تونس شخصيات فكرية لا بأس بها لعبت دوراً ؛ وقعت نهضة صغيرة في القرن ١٩ نهضة إصلاحية في المجال السياسي ، صغيرة بالنسبة لما وقع في المشرق ، ولكنها نهضة حقيقية مثل خير الدين التونسي ، المؤرخ إبن أبي ضياف . فيما بعد ، حتى في فترة الاستعمار ، عرفنا الطاهر الحداد مفكراً لا بأس به ، والشاعر أبو القاسم الشابي . كل هذه الفترة من آخر القرن ١٩ إلى ما قبل الاستقلال كانت مجهولة في المشرق ، ولكن كانت هناك بذور فكرية موجودة في تونس ، تقاليد فكرية موجودة . الاستقلال عرّف إلى حد كبير بهذا التراث. فترة الاستقلال في تونس ، عَرّفت تونس أولاً بهذا التراث ، مثلاً وقعت طبعة تاريخ إبن أبي ضياف ، وقعت إعادة طبع كتاب خير الدين ، أبو القاسم الشابي وقع التعريف به في المشرق ..الطاهر الحداد... إلخ.

وقع نوع من إحياء لهذه الفترة ، الفترة النهضوية الاصلاحية ، وفيما بعد وكما ذكر د. الجابري تكوّنت أجيال جديدة . أعتقد أن الأجيال التي لعبت دوراً فكرياً تكوّنت حتى من الفترة الاستعمارية في تونس على الأقل عبر الصادقية ، وعبر الزيتونة ايضاً ، واكن أساساً عبر الصادقية لأن الصادقية كانت تعطي تعليماً مخضرماً فرنسياً ، وعربياً في الوقت نفسه ، فتكوّن جيل كان وصل إلى سن الرجولة إبان الاستقلال ، وجيل من المثقفين الجيدين ، إنما هذا الجيل من المثقفين الجيدين خلافاً للوضع في المغرب استقطبته الدولة . ففي الخمسينات كانت هناك عناصر ، منها محمود السعدني كان معروفاً إلى حد ما بتونس ، ووقع التعريف به إبان الاستقلال عن طريق طه حسين بمصر إلى حد ما. هناك عناصر شابة كان لها مستقبل ولكن الدولة استقطبتها . فخلافاً لما وقع بالمغرب الأقصى ، هنا في تونس تباطأ الجيل الذي وصل إلى سن الرجولة في عهد الاستقلال الأول ، إذ دخل في صفّ الدولة ولم يثمر . الإثمار والعطاء بدأ عندنا تقريباً من السبعينات . ولأسباب متعددة ، فان نهضتنا الفكرية أضعف من نهضة المغرب الأقصى ، في بعض مجالات الفكر العام ، في مجالات التنظير ، ولكن هناك نهضة أكاديمية . مثلاً عندنا كثير من الاكاديميين كتبوا في مجالات متعددة . اعتقد أن الجيل الثاني بعد الاستقلال لم يعط العطاء الكثير فيما يخص التنظير والابداع وغير ذلك ، لانه كان

دائماً ينظر إلى الدولة ، أي إلى خدمة الدولة تبعاً للنسق التونسي ، ولكن ابناء هذا الجيل هم في الحقيقة يائسون من الدولة ولم يعطوا جهودهم كلها ولم يوظفوها في الخلق والابداع النظري ، بحيث كان هناك نوع من الإحجام الذي لعله لم يوجد بالمغرب . أنا أعتقد أن ما حصل في المغرب الأقصى ، هو أن جيل ما بعد الاستقلال لم تستقطبه الدولة . فوظف المثقفون قدرتهم كلها في الخلق والابداع . في تونس بقوا مذبذبين ، عندهم دائماً نوع من الأمل في خدمة الدولة . لهذا لا نجد العدد الكبير من المنظِّرين المعروفين كما نجدهم بالمغرب . ثم هناك فارق في السكان ، ونوع من الاحجام عن التنظير وغلبة العنصر الأكاديمي على الابداع . لكن مع هذا ، وقعت بعض محاولات للتنظير بتونس ومحاولات لمنهجية جديدة في التاريخ وفي علم الاجتماع أساساً . لماذا تعرّف المشرق على المغرب أساساً في السبعينات ؟ أنا أشرت لتحليلات الجابري ، إنما أعتقد وأريد أن أؤكد على أن العلاقة القوية باللغة الفرنسية ومعرفة التراث الأوروبي ـ ليس على طريق الترجمات العربية إلا في بعض الأحيان، ولكن أساساً عن طريق الترجمات إلى الفرنسية مثلاً ، ترجمات الفلاسفة الألمان إلى الفرنسية، أثّرت كثيراً على الفكر الفلسفي والتنظيري في المغرب العربي . هذا مهم جداً ، لقد بقيت العلاقة قوية مع فرنسا . وفي الآن نفسه في المغرب عندنا بعد الاستقلال وحتى ما قبل الاستقلال علاقة دائماً كانت وطيدة بالتراث بمعناه الأفضل ، أي بالتراث الفكري والفلسفي والعربي الاسلامي. والذي حصل هو هذا التجميع ، هذه القابلية على فهم التراث ، وهي قابلية تقليدية موجودة في المغرب ، التحمت في وقت ما بالفكر الأوروبي ـ لا أقول الفرنسي فقط ـ بينما في المشرق ، وقعت فترات تأزم بعد أن عرف المشرق زخماً كبيراً بين الحربين من العمالقة المعروفين امثال طه حسين والعقاد وغيرهما . الذي وقع هو نوع من التوقف في العطاء ، ربما بسبب الأنظمة السياسية . هذا الاستبداد الفكري لعب دوراً كبيراً . ثم في الجيل القريب منا غلبت الثقافة الانكلو ساكسونية. الثقافة الأنكلو ساكسونية ، خلافاً للثقافة الفرنسية ، هي ثقافة قد تكون أكثر جدة ، وربما تكون متقدمة اكثر في الزمن ، ولكن فرنسا بقيت متقدمة في الثقافة التقليدية من فلسفة وتاريخ وعلم اجتماع وأمور من هذا القبيل . وفي الثقافة الانكلو ساكسونية التي غلب عليها العنصر الامريكي ، هناك عنصر الفكر السياسي والفكر الخبرائي والفكر الانثروبولوجي الذي لا يؤهل كثيراً للتنظير . وأهم دليل على ذلك أن أمريكا ، وبرغم حجمها الكبير ودورها القيادي في جميع الميادين مثلاً ، لم تفرز مفكرين في السبعينات من نمط دولوز ، التوسير ، ليفي شتراوس .

● أ . **السيد يسين** : شكراً د . هشام جعيط . أعتقد أن ما ورد في كلام د . الجابري ود . هشام جعيط يمكن أن يغطي النقطة الأولى الخاصة بالصلات التاريخية والعلاقات الجدلية بين الفكر العربي والفكر المشرقي . هناك أفكار متعددة طُرحت في المداخلتين أعتقد أننا سنعود إليها لكي نناقشها مناقشة نقدية . أريد الآن أن أدعو د . سعيد بنسعيد لكي يركز على الجانب المنهجي . د . الجابري تحدث عن تأثير المنهجية الفرنسية على جيل المفكرين المغاربة المعاصرين، ود. جعيط ركّز أيضاً على هذا الجانب وخصوصاً ما عرفت به العقلية الأوروبية من نزعة إلى التنظير وبناء الأنساق الكبرى واستحداث المناهج . وأعتقد هذه نقطة بالغة الأهمية ، ارجو د . سعيد أن يركّز عليها في مداخلته .. د . سعيد تفضل.

○ **د . سعيد بنسعيد** : إذا سمح الاخ السيد يسين ، هذه مسألة المنهجية طبعاً في منتهى الأهمية ، وأحب أن اسمع أيضاً فيها راي د . هشام جعيط و د . الجابري . ولكن إذا سمحت لدي إضافة صغيرة فيما يتعلق بالنقطة الأولى حول الصلات التاريخية بين المشرق والمغرب ، وسأحاول أن اركّزها في نقطتين اثنتين :

النقطة الأولى ، تاريخية أرجع فيها إلى التاريخ القريب ، ولا أتجاوز نهاية القرن ١٩ ومطلع القرن ٢٠ . إذا ما رجعنا إلى مجموعة من النصوص التي كتبها مغاربة ، (وهي للأسف إما نصوص لا تزال مخطوطة لم تنشر نطّلع عليها في الخزانات الوطنية في المغرب ، وإما إنها طُبعت طبعات نسميها في المغرب طبعة حجرية)، فإننا نجد عند هؤلاء الكتاب والمفكرين المغاربة ما يبرهن لنا على وجود هذه السيرة . فهم يتحدثون مثلاً عن الشيخ رفاعة الطهطاوي ورحلته الباريسية ، ويتحدثون عن الحاكم محمد علي وعما أحدثه في مصر من التنظيمات ، ويتحدثون هكذا بعبارة التنظيمات كما هي معروفة في الأدبيات التي اهتمت بالحركات الاصلاحية . كما نجد عندهم معرفة بـ « خير الدين التونسي » ، وأحب لمناسبة ذكر خير الدين التونسي ، أن أذكر أنه بالنسبة لمنطقة المغرب العربي ، لا شك أن تونس لعبت دوراً على قدر كبير من الأهمية ، في خلق الصلة بمنطقة المشرق العربي ، ونقل تلك الأفكار . وإضافة إلى كل الأسماء التي ذكرها د. هشام جعيط أريد أن أشير أيضاً إلى الدور الذي لعبته بعض الجمعيات في تونس كالمدرسة الصادقية ، وأثرها على المشرق لا ينكر ، ولكن كانت هناك جمعية لعبت دوراً مهماً وهي الجمعية الخلدونية ، وحيث كانت الصلة شديدة بين مثقفين مغاربة يذهبون إلى تونس ويستمعون ويحاضرون ، على كل حال كان هذا الاتصال موجوداً .

النقطة الثانية ، تتعلق تخصيصاً بالحركة الوطنية المغربية ، والدور الكبير الذي لعبته في تاريخ المغرب المعاصر ، وعلى الخصوص فيما يحلو لي أن أسميه بعملها الدؤوب على نقل المغرب إلى حسبة الحداثة .. الحركة الوطنية المغربية لم تكن حركة تحرر سياسي فقط ، ولكن كانت في الوقت ذاته حركة تحرر سياسي ذات مضمون ثقافي . بتعبير آخر جعلت نصب عينها ـ هكذا نقرأ برنامجها الآن ـ تحرير المغرب من ربقة الاستعمار الفرنسي والإسباني ، ولمّ شتات التجزئة التي أحدثها الاستعماران الفرنسي والأسباني في المغرب من جهة ، ولكن أيضاً تجاوز الأحوال التي جعلت استعمار المغرب ممكناً كالقضاء على الخرافة ، والقضاء على الأمية . في هذا الصدد ، نجد أنه عند رجالات هذه الحركة وفي برنامجها ، تشوّف كبير إلى المشرق العربي . فقط كان هناك موقف عند هؤلاء الوطنيين المغاربة في مختلف المراحل التي مرّوا بها ، وهو ما أسماه د. الجابري بقراءة هذه الحركة للنهضة ، أي لما حدث في المشرق العربي ، إنما بمرجعية مغربية .

أقصد أنه في المشرق العربي ، سواء تعلق الأمر بالشام أم تعلق بمصر ، ظهرت مجموعة من التيارات ، وأهم هذه التيارات هو تيار الجامعة الاسلامية من جهة ، وتيار الداعين إلى الجامعة العربية من جهة ثانية. بعد ذلك سيظهر في الشام وفي مصر، تيار وطني يدعو إلى استقلال وطني. لكل واحد من هذه التيارات والتداخلات القائمة بينها خلفياته التاريخية ، وموجهاته الأيديولوجية . بالنسبة للمفكرين المغاربة ، عندما كانوا يقرأون هذه النصوص أو هذه التيارات ، كانوا أولاً يقرأونها وهم متجردون من هذه الخلفية التاريخية . ريح مباركة تهب من المشرق ، فهم يرحبون بها ، يقرأون للكُتّاب باختلاف تياراتهم ، وأحياناً كانت بينهم مراسلات موجودة ومنشورة ، مثلاً بعض المراسلات مع الشيخ محمد عبده . إذن كانوا متجردين من هذه الخلفية .

النقطة الثالثة ، هي أن منطقة المغرب العربي عموماً ، وأعتقد المغرب وتونس بكل تأكيد وحتى الجزائر ، لم تعرف هذا النوع من الاختلاف أو التغير أو الصراع بين دعوة إلى جامعة إسلامية تحت ظل خلافة عثمانية ، ودعوة إلى قومية عربية هي حصيلة حركة وطنية . هذا الصراع الثنائي لم يكن موجوداً ، وقد وفّر علينا كثيراً من الأمور .

تبقى لديّ إشارة بسيطة من باب المعلومات ، من باب الكتب التي يُنصح بقراءتها في هذا الصدد ، ما دام الهدف من هذا اللقاء هو التعريف .

نشير بالنسبة لحالة المغرب إلى كتابين اثنين . الكتاب الأول هو دكتوراه وهي غير مترجمة بعد إلى العربية ، وأعتقد أنها ككتاب تعريفي بهذه المرحلة تستحق أن تُنقل إلى العربية ، وهي التي كُتبت تحت عنوان **الأصول الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية المغربية** . والكتاب الثاني هو الجهد الذي بذله مؤرخ عصامي تُكِنّ له في المغرب كثيراً من الاحترام وهو أستاذ وفقيه وهو السيد محمد المنوفي حيث نُشر له كتاب بعنوان **مظاهر يقظة المغرب الحديث** وهو في جزأين ، والمهم في هذا الكتاب ، هو في الجزء الثاني ، عندما يقدم نصوصاً مهمة مفيدة نقّب عنها في بطون الخزانات والمكتبات .

● **أ. السيد يسين** : شكراً د. سعيد بنسعيد وأدعو د. عفيف البوني إلى تقديم رأيه فيما طرح من أفكار .

○ **د. عفيف البوني** : أنا في الحقيقة تلميذ للمشارقة والمغاربة ، وخاصة الأخوة الحاضرين جميعاً . هنا أريد أن أؤكد في البداية على فضل المشرق علينا في ثقافتنا واستكمالاً لما طرحه د. الجابري ، د. جعيط ، ود. بنسعيد ، أريد أن أضيف ملاحظة في الجانب التاريخي عن صلة المشرق بالمغرب . إن تونس احتلت صلة وصل في نقل الفكر المشرقي إلى عموم منطقة المغرب بحكم الموقع الجغرافي ، وربما بحكم دور الثقافة الزيتونية والجامع الزيتوني ، وهناك حتى في خلال القرن الماضي أو بداية هذا القرن زيارات محمد عبده الذي حاول أن يُكوّن فرعاً لجمعية العروة الوثقى ، وهناك مراسلات ودراسات حول هذا الموضوع .

أضيف عنصراً آخر أيضاً في هذا الاطار ، هو دور الطلبة المغاربة عموماً الذين درسوا في المشرق العربي وتخرجوا منه ، وعادوا فأثّروا بطريقين :

إما انهم خلقوا تياراً عاماً يستقبل ويقرأ ما يُكتب في الشرق ، وإما انهم ساهموا أيضاً في تعريب مواد كثيرة وفي تعريب التعليم بالمشرق بطرق مختلفة ، ربما غالبيتهم على مستوى الصحافة ، على مستوى الكتب المدرّسة ، يعني انهم خلقوا تعريفاً بشكل ممتاز . لا أدري هل استمر ، أم إننا انتهينا من النقطة التاريخية ، لأن عندي تصوراً معيناً لهذا الفكر أو هذا الإسهام المغربي: كيف يمكن أن اقوّمه شخصياً كقارىء وكإنسان حاول أن يكتب في هذا الاطار ؟

● **أ . السيد يسين** : سننتقل إلى هذه النقطة ، بعد أن نستوفي بعض المسائل والاشارات التي وردت في المداخلات السابقة . **يمكن للدكتور غالي شكري أن يعقب على التفسير أو التشخيص الذي قدمه د. عابد الجابري حول مسألة نهوض الفكر في المغرب في ضوء الركود الفكري في المشرق في العقود الاخيرة . ما هو التفسير الذي يقدمه د. غالي شكري لهذه الظاهرة ؟**

○ **د. غالي شكري** : إن التفاعل المغربي المشرقي ليس هو بالضبط تفاعل المغرب العربي ككل مع المشرق . فاستجابة كل قطر مغربي على حدة للتفاعل مع المشرق كانت تختلف ، وما زالت انعكاسات هذا الاختلاف قائمة حتى الآن في أشكال التفاعل المشرقي المغربي بشكل عام . هناك لحظتان تاريخيتان أساسيتان في الاتصال الحضاري المشرقي المغربي . وهما اللحظة الهلالية واللحظة الفاطمية . وفي هذا الاطار ، فإن العلاقة بين تونس ومصر علاقة متميزة ، علاقة خاصة ، ولذلك مهّدتُ لها في البداية بأن علاقة كل قطر مغربي على حدة بالمشرق تختلف عن بقية الأقطار. في العصر الحديث ثمة زيارات من الإمام محمد عبده ، زيارتان لتونس ، وزيارة للجزائر ، من العلامات البارزة جداً والمهمة جداً في معرفة حقيقة المعطيات التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، وما إذا كانت على استعداد فعلًا لتفاعل طويل المدى بين المشرق والمغرب ، أم لا . كذلك هناك شخصية محمد الخضر حسين. محمد الخضر حسين هذا ، شيخ الأزهر التونسي الوحيد ، اي أن مشاركته الفكرية

في مصر ، وقبلها في تونس ، جديرة أيضاً بالنظر في هذا الاطار . بالطبع هناك ، في سنوات تالية ، مكتب المغرب العربي في كل من دمشق والقاهرة . وقبل ان أستطرد ، أود أن أقول انه رغم ذلك ، فهناك تياران في العصر الحديث : التيار المحافظ المتمثل في جمعية العلماء في الجزائر ، وجامع الزيتونة في تونس ، وتصحّ في المغرب الملاحظة نفسها ؛ والتيار الفرانكفوني . تفاعل هذين التيارين مع المشرق هو تفاعل اكتفاء ذاتي ، يعني أن الرصيد أو التراث السلفي للفكر المحافظ في المغرب العربي لم يكن يحتاج إلى فكر وافد من المشرق ، فيما التيار الفرانكفوني يأخذ من أوروبا ، ولن يأخذ من المشرق . ولذلك فان الاضافة التي أوردها د. الجابري عن الترجمات المشرقية يمكن أن تصح في سنوات الخمسينات على سبيل المثال ، وأساساً في الأدب ، اي انه لا توجد أعمال فكرية كبرى مهمة تُرجمت في المشرق ، وكان لها تأثير مباشر على المغرب .

أنا أركّز على هذه النقطة ، وهي أن هذين التيارين ما كانا يحتاجان الى المشرق ، لأن هذا يفسر لنا بالفعل فجوة كانت موجودة ، ولربما ما زالت آثارها قائمة ويجب مواجهتها بشجاعة . هناك فجوة بين الثقافتين ، إن جاز التعبير . لم اكن اذهب إلى قطر مغربي إلا واجد شكوى حقيقية ، خصوصاً في أوساط الشباب، من أن المشرق مقروء جيداً عندهم، ونحن، مفكرو المشرق، لسنا على صلة كافية بهم، وهذا صحيح.

المرحلة الناصرية أربكت عملية التفاعل بين المشرق والمغرب . فالموقف الرسمي في تونس ، على سبيل المثال ، كان موقفاً مزدوجاً حيث وجد موقف معادٍ للناصرية بشكل قاطع من قمة السلطة ، وفي الوقت نفسه كانت هناك محاولة للتعاضديات أي التعاونيات وهي قريبة الشبه جداً من بعض الانجازات الناصرية في مجال التخطيط الزراعي . ولكن هذا أربك الصلة بين المشرق والمغرب ، فلم يكن من السهل على المغرب العربي ، في ظل المرحلة الناصرية ، أن يتفاعل تفاعلاً صحياً مع الفكر المشرقي بشكل عام والمصري بشكل خاص . اقول هذا لأننا سنجد بعض الظواهر مثل الطاهر الحداد في تونس ؛ الطاهر الحداد مفكر إجتماعي اكثر راديكالية من قاسم امين في قضية المرأة وحريتها ، وأظن أن كتابه الشهير **الشريعة والمجتمع** كتاب رائد ، وقياساً إلى ما كُتب في ذلك الوقت في أي بلد عربي آخر ، يعتبر هو الأهم .

هذه الأشياء شبه مجهولة تماماً في المشرق العربي . ولذلك ما حدث بالنسبة لأعمال « العروي » أو « الجابري » أو « جعيط » أو « عبد الكريم الخطيبي » ، أو الشباب الأكثر حداثة « سعيد بنسعيد » ، « عبد اللطيف » ، « محمد الوقيدي » ، هؤلاء الزملاء فعلاً ـ هو شيء جديد كلياً ، حصل خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الأخيرة . واحب ان اعرض عليكم نقطة في هذا الصدد خاصة بالأدب ، الأدب غير العلوم الانسانية الأخرى ، يقوم في ظني خلال الفترة نفسها بدور بالغ الأهمية ، مجلة « الآداب » اللبنانية هي المنبر الوحيد الذي كانت تجتمع عليه أقلام المشرق والمغرب . لا شك طبعاً انها انحسرت الآن ، ولكننا تعرفنا عليكم ، وانتم تعرفتم علينا ، من خلال مجلة مثل مجلة « الآداب » ، أو دور نشر ايضاً بادرت إلى نشر أعمالكم ، حتى الأعمال التي كُتبت أصلاً بالفرنسية . الآن الوضع افضل بكثير ، الآن أصبحت هذه الأسماء معروفة جيداً ، أصغر شاعر موجود في طنجة أو توزور أو عِنابة معروف اليوم في الأوساط الثقافية المشرقية ، لا اقول الشارع المشرقي ، وإنما الأوساط الثقافية العربية . لذلك أظن أن الأفق مفتوح لمزيد من التفاعل الصحي في المستقبل القريب .

● **أ. السيد يسين** : شكراً د. غالي شكري . ولو سمحتم لي أريد أن أركّز على موضوع المنهجية ، قبل ان أنتقل لتوصيف المشهد الثقافي الراهن في المغرب . د. عابد الجابري اشار إشارة مهمة ، وهي أنه من أحد أسباب الابداع الفكري المغربي المعاصر هو تأثر المفكرين المغاربة

بالمناهج الحديثة الفرنسية على وجه الخصوص . وسؤالي هنا الذي أرجو أن يجيب عليه : كيف تعامل المفكرون المغاربة مع هذه المناهج الحديثة ؟ هل نقلوها نقلاً حرفياً ؟ هل طوّعوها لطبيعة المادة التي يتعاملون معها ؟

○ **د. الجابري** : لا بد من الاشارة إلى أن تعامل الباحثين المغاربة مع المناهج الأوروبية يجب أن يُميز فيه بين نوعين من التعامل ؛ هناك أبحاث جامعية تبدأ من البحث المكمل لليسانس إلى دبلوم الدراسات العليا إلى الدكتوراه،والتي تكون في الغالب أكاديمية،أي عرض،تلخيص، وتعليق على هذا المفكر الفرنسي أو ذاك . ولكن في الوقت نفسه، يحاول الطالب ، ولربما أيضاً بإلحاح من الأستاذ ، أن لا يقتصر على الاستنساخ . وبالفعل ، تشبّع الجميع بالمشاكل العربية وبالقضايا العربية والمشاكل المغربية أيضاً ، تكوّن هكذا نوع من التفاعل بين القضايا المطروحة عندنا كقضايا ثقافية مصيرية وبين مناهج وافدة . لست أدري كيف أشرح هذه العملية ، ولا أعتقد أنه بالامكان شرحها . لقد وجدنا أنفسنا بفعل الممارسة مدفوعين بدافع داخلي لست أدري كيف أفسره إلى الرغبة في « تبيئة » المناهج والمفاهيم الغربية لدينا ، أي رغبة إعطائها مضموناً أو تلويناً محلياً يتناسب مع موضوعاتنا ومشاغلنا الثقافية . من هنا بدأت تظهر ظاهرة جديدة نوعاً ما ، وهي أن المفكر الغربي أو المنهج الغربي في الغالب لا يُقرأ لذاته ، وإنما من أجل أن يوظّف توظيفاً ما في تراثنا أو في بحثنا العلمي .

طبعاً ، هذا شيء تمّ تدريجياً،ولم نعه بدايةً إلا مؤخراً، وعندما بدأنا نعيه أصبح دعوة ندعو إليها ونحاول أن نطبقها ، ولذلك تلاحظون أنه في الكتابات التي تنشر ، وبخاصة في المجال الفكري ، يسود هذا النوع من الهاجس ، أي التحرر من المفكر الغربي الذي نستمد منه في الوقت نفسه الرؤى والمفاهيم وكذلك الأدوات والأجهزة الضرورية للعلم .

إلى اي حد يمكن أن تستمر هذه العملية ، وتُنتج وتُعطي ثمارها وتقود نحو أصالة حقيقية ؟ طبعاً ، هذا أمر مرهون بالمستقبل ، ولكني أعتقد على العموم أن عملية شقّ الطريق قد بدأت . وهناك في المغرب الأقصى الآن ، عزوف يكاد يكون عنيفاً عن كل كتابة تستنسخ أو تحكي المقروء كما هو ، بدون أن تحاول تلوينه بلون معين تستقي منه المشاغل الفكرية . هذا باختصار ما يمكن أن أقوله . والأخ سعيد طبعاً من جيل الشباب الذي يمارس هذه العملية،يمكن أن يتحدث عن تجربته الخاصة. شاءت الصدفة وشاءت السن وشاءت البيئة أن يكون الزملاء هؤلاء ، كل هؤلاء الذين تعرفونهم كلهم طلبة قسم واحد ، وسن واحدة ويحتكون بالأساتذة أنفسهم، ويكوّنون بكيفية عشوائية نوعاً من المدرسة غير المخطط لها ولا المعلن عنها ، ولكن بحكم صداقات شخصية ونوع من التعايش داخل الكلية، داخل القسم ، تكوّن هكذا نوع من النواة وعليها نواة أخرى وأنوية أخرى لأجيال صاعدة ، أعتقد أنه توجد وعود ، ومستقبل الثمر مورع .

● **ا. السيد يسين** : أريد أن أحدد الكلام بشكل أدق في موضوع المنهج . د. عابد الجابري في أحد كُتبه ، وأعتقد أنه **تكوين العقل العربي** ذكر بصراحة ، أنه في تأثره بالمناهج الفرنسية الحديثة لا يأخذ المنهج بكلياته ، بل يعطي لنفسه الحرية في استخدام بعض المصطلحات والمفاهيم والفئات التحليلية ، يجوز بشكل مختلف . فإذا كان قد تأثر بـ « ميشيل فوكو » فهو ليس ملتزماً بكل التفريعات والفئات التحليلية التي وردت في نسق « فوكو » ، ولكنه يتأثر ويقتبس ويُطوع للمادة التي يعمل في إطارها .

وأريد أن أسمع تعقيباً للدكتور سعيد بنسعيد على هذه الممارسة المنهجية ، فيما يتعلق بمحاولة تطويع المناهج الفرنسية للمادة التراثية العربية .

○ **د. بنسعيد** : قبل عشرين سنة أو أقل من ذلك قليلاً ، كنا نسمع في مقاعد الدراسة ونقرأ في المجلات مثل مجلتي « الآداب » و« دراسات عربية » ، كما أشار إلى ذلك د. غالي شكري ، كنا نسمع ونقرأ عن وجوب التمييز بين أمرين اثنين ، بين المذهبي وبين التلفيقي . المذهب هو أن تعلن صراحة أو ضمناً انتسابك إلى مذهب واحد بعينه وتسير على خطه . والتلفيق هو أن تأخذ من كل فن بطرف ، أو أن تقتبس من كل بستان زهرة كما يُقال . ولكن الذي حدث في سنوات تضمنت أقل من العشرين سنة الأخيرة هو أنه ظهر نوع من الأزمة الثقافية الحادة التي أُعلن عنها في فرنسا وعرفناها أكثر من غيرنا بحكم سهولة التواصل اللغوي ، وبحكم القرب الجغرافي أيضاً إلى حد كبير . الذي حدث هو أن الكل أعلن تبرّمه من المذاهب . وعلى العكس من ذلك ، وقعت مجموعة من الثورات الثقافية ، وقعت مجموعة من الانفجارات كان المحور فيها هو الماركسية في الواقع ، فاتجه الاقتباس من أماكن كثيرة متعددة ، ويرمز إلى هذا في الثقافة الفرنسية بالنسبة لنا في المغرب شخص مثل « التوسير » الذي كان ماركسياً منتسباً إلى الحزب الشيوعي ، ثم خرج من ذلك ثم اشتغل بالابستمولوجيا . ويرمز إلى ذلك « ميشيل فوكو » بطريقته . فإذن بالنسبة لهذا الجيل الذي ظهر وأخذ يكتب في هذه العشرين سنة ، ومن المغرب مثلاً هناك « عبد الله العروي » ، هناك « الجابري » هناك « الخطيبي»، نجد صدى لهذا كله . فالعروي على سبيل المثال (قد نشر لـ « المستقبل العربي » دراسة قبل سنتين فيما أذكر حول موضوع المنهجية) يعلن عن ماركسيته التاريخانية والتي هي نوع من الماركسية التي تحوّلت فيها الماركسية إلى بوجيا تُلخص كل ما وصل إليه تطور الفكر الأوروبي . على كل حال هذه مسألة دقيقة لا يمكن أن نفصل فيها الآن . ولكن نجد عند « عبد الله العروي » موافقة وانفتاحاً كاملاً ، وهو الذي يعلن عن ماركسية ما على برنامج الانثروبولوجيا الثقافية الفرنسية .

ونجد أيضاً رغبة في هذا الانفتاح على هذه المنهجية المتعددة . كذلك بالنسبة للدكتور الجابري في **نحن والتراث** وعن مقدمته ، نجد نوعاً من الزواج أو من الانسجام التلقائي بين الابستمولوجيا الفرنسية ، الابستمولوجيا اللاشرارجية كما طبّقها التوسير وقرأ بها التراث الماركسي ، نجد اقتباساً من إبستمولوجيا جون بياجيه ، نجد على كل حال انفتاحاً وإرادة للانفتاح على هذه المنهجية متعددة الميادين ، يضاف إلى ذلك أمران اثنان أشار د. الجابري لأحدهما وهو معانقة قضايا وطنية وقومية عربية ..

كتابات الأخوة المغاربة لم تكن أبداً من نوع المختصرات ، أو الكتب من نوع بسيط ووجيز ، لم تكن محاضرات ولم تكن دروساً . لذلك فإن إحدى الملاحظات التي يجب الاشارة إليها بصدد هذا النتاج المغربي بصفة عامة ، أنه أبعد شيء من أن يكون دروساً ومحاضرات ، وهنالك ابتعاد عن التعريف بمناهج ودروس ، فكل هؤلاء المفكرين الذين ذكرت أو على الأقل غالبيتهم الساحقة بنسبة لا تقل عن ٩٩ بالمائة ليسوا متفرغين للبحث العلمي ، هم يزاوجون بين مهام التدريس وبين البحث . وحتى في التدريس هم في أغلب الأحيان لا يدرّسون مادة واحدة ، لا يدرّسون موضوعاً بعينه ، إنما كانوا مضطرين أن يكونوا موزعين في الأسبوع الواحد بين عدد كبير من الدروس . أذكر أن د. الجابري مثلاً قبل ٢٠ سنة عندما كنا نعاني نقصاً شديداً ، كان أسبوعه الدراسي موزعاً بين عدد كبير من الموضوعات والمجالات ، تذهب من فلسفة التاريخ إلى الفلسفة الاسلامية إلى الابستمولوجيا ، فكان يمضي أسبوعه كله في هذا العمل ، وكان أيضاً منشغلاً ببحثه . على أي حال ، كل ما أريد أن أقوله باختصار في هذه النقطة هو ان تلك المناهج لم تؤخذ لذاتها ، وإنما أغلبية الأبحاث التي قُدمت في هذا الصدد كانت في الغالب أبحاثاً تنصب على التراث العربي الاسلامي ، ودون أن تعطينا تعبير قراءة جديدة أو رؤية جديدة ، كانت تقبل ببساطة وبتواضع على إعادة التفكير ، إما في شخصيات

فكرية كبيرة ، أو في نصوص أو في مجموعة من النصوص ، وقد أفادت من الدرس اللساني ، وأفادت من دراسة الابستمولوجيا الفرنسية ، وأفادت أحياناً من درس الانثروبولوجيا الثقافية الامريكية . فأعتقد أن هذه أمور تُفسر نوعية هذا العطاء الموجود ، وهو أن المنهجية لم تؤخذ لذاتها وإنما أُخذت من أجل أن تُوظف ، وأن يُقرأ بها التراث العربي الاسلامي خصوصاً . ومن جهة أخرى ، هناك نوع من الالتزام الضمني ، التزام أخلاقي بقضايا الانسان العربي ، المثقف العربي ، وليس بقضايا المغربي بالمعنى الضيق للكلمة . هذا ما أردت قوله .

● أ. **السيد يسين** : نريد الآن أن ننتقل إلى موضوع المشهد الفكري في المغرب في الوقت الراهن . كيف نستطيع أن نصف هذا المشهد الفكري، وأقصد بذلك ما هي التيارات الفكرية الرئيسية ؟ وما هي الأعمال الرئيسية التي ظهرت في الفكر المغربي المعاصر ؟ د. هشام جعيط ، تفضل.

○ د. **هشام جعيط** : في الحقيقة إن التيار الفكري المغربي إبتدأ في أواخر الستينات تقريباً . وأنا أرى أن الجديد في هذا المشهد هو أنه ليس بالمدرسي بالمعنى المضبوط ، وهو منفتح على عدة تيارات ، ويعتمد أساساً على الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع . لكن الشيء الجديد هو أنه يمزج في كثير من الأحيان بين الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ، ليأتي بفكر شمولي إلى حد بعيد ، وهذا أمر جيد . عادة تجد رجل الفكر مسيطراً على إحدى هذه المواد الثلاثة الكبرى ، تجده في تكوينه فيلسوفاً ، أو تجده في تكوينه مؤرخاً أساساً ، أو عالم اجتماع وهذا جيد . لأنه يكون في هذا المضمار مسيطراً على منهجية أولية أساسية هي الأصل . ثم ينفتح على منهجية أخرى ، ويخلق من هذا المزيج فكراً شخصياً . أعتقد إذن أن الفكر المغربي له سمة . وهي في الحقيقة سمة قديمة في الثقافة الاسلامية، وهي المقدرة على التركيب ، اي التجميع ، وإعطاء مشهد عام ثقافي أو حضاري أو غير ذلك . والجدير بالذكر ـ ويمكن أن هذا هو الذي بهر المشارقة إلى حد ما ـ هو أنك تجد عند المغاربة ، سواء في تونس أم الجزائر أم المغرب،تأصلاً كبيراً في الفكر العربي الاسلامي ، وقوة انتماء شديدة له قد لا تجدهما في المشرق بين الحربين العالميتين،لأن مفكري المشرق كثيراً ما كانوا يعتمدون على «داروين»، ويخاطرون بالحضارة العربية ـ الاسلامية، أو أنهم حاولوا إنقاص قيمتها، فكانت هناك عقدة نقص، عقدة النقص هذه غير موجودة عند المفكرين المغاربة.

وفي الدرجة الثانية ، تأتي المعرفة الجيدة بالثقافة الغربية خصوصاً ، وأنا أعتقد أنك تجد الفيلسوف يُحسن التاريخ والسسيولوجيا، تجد عالم الاجتماع له معرفة بالفلسفة، تجد المؤرخ يعرف الفلسفة. أنا أعتقد أن هذه المقدرة على التركيب وعلى الطموح الثقافي الشمولي، هي مما يسمُ الفكر المغربي الحديث، ومما يجعله جذاباً.

● أ. **السيد يسين** : شكراً د. هشام جعيط . د. عفيف البوني لديه وجهة نظر في هذا المجال . تفضل .

○ د. **عفيف البوني** : أريد أن أضيف لما قاله د. هشام جعيط وبقية الأخوة ، وهو أن هذا الاسهام المغربي أو المغاربي حدث في الحقيقة مع استنفاذ البرامج الوطنية في الأقطار المغربية ، وربما حتى على صعيد المنطقة العربية . وحدثت هذه الكتابة وعُرفت وقُرِئت في المشرق ، وكُتبت بعد أن وقعت كل التجارب بسلفياتها ، وظهرت سلبياتها وايجابياتها . أي لم يُكتب قبل هذا التاريخ ، وربما لو كُتب قبل ذلك لأخذ مساراً آخر واستدعى منا تقويماً ثانياً ، لأن هذا الفكر حاول أن يظهر ـ وقد ظهر بالفعل ـ نقدياً،ومحاولاً للتجاوز لجزء مهم من الفكر المشرقي ، ومما كُتب في المشرق .

ويبدو لي شخصياً أنه ظهر كفكر ثقافي ، أكثر منه كفكر سياسي أو أيديولوجي ، يعني مَنْ كَتَبَ

من المغاربة حتى وإن كان ينتمي سياسياً لم يكتبه لأنه يفكر في خدمة الحزب الذي ينتمي إليه ، أو في خدمة النظام ، أو بالضرورة بدافع المعارضة للنظام ، إنما كتب قناعاته وفق تصورات معينة ، ووفق المنهجية التي استعملها .

أيضاً أعتقد أن هذا الفكر أو هذا الاسهام تميّز بمراعاة خصوصية العلاقة بين العروبة والاسلام والتجانس السكاني في المغرب العربي ، وهذه حقيقة نعيشها كمغاربة ونحن متشبعون بها إلى درجة انني أريد أن أشاطر د. الجابري عندما اعترض على تسمية البربر بأنهم أقلية ، واعتبرها استفزازاً ، لأنه في واقع الأمر لا يوجد مثل هذا التصور لهذه القضية .

أيضاً هناك في هذا الفكر ترابط بين مسألة اللغة ـ مع خصوصية القضية اللغوية في المغرب العربي وأهمية التعريب ـ وبين الهوية العربية الاسلامية ، وبين التراث ، وبين العصر، وبين من نحن ، نحن العرب ؟ فهناك صياغة شمولية لهذه القضايا ، حتى وإن كان البحث أو الكتابة من الناحية المنهاجية يقتصر على جانب معين من هذه الجوانب . فالوعي بهذه القضايا حاضر ، وإن كان الحديث يتم عن قضية واحدة .

ومما يميّز هذا الفكر ـ وهذه قضية منهجية ـ أنه يُكتب بشكل ممنهج وممحور ومعنصر ومتتال ، اي شيء يقود إلى شيء ، ولا يُكتب بشكل مسترسل لصفحات طويلة بحيث يطرح عدة قضايا قد يكون الربط بينها ضعيفاً .

● أ. **السيد يسين** : شكراً د. عفيف البوني . د. عابد الجابري تفضل .

○ د. **عابد الجابري** : أود أن أضيف في إطار تفسير هذه الظاهرة وتتميماً لما قاله د. هشام جعيط فيما يخص المشهد التنظيري ، اي هذا المنظور نحو التنظير والفكر التركيبي في المغرب . أحب أن أضيف مسألة ذات أهمية كبرى فيما أعتقد وهي ، نسميها تبعيتنا التربوية لفرنسا فيما يخص البرامج ، برامج التعليم الثانوي خاصة وبكيفية أخص في البكالوريا. فالبكالوريا الفرنسية كما نعرف جميعاً تُعطي أهمية كبرى للفلسفة ومناهج العلوم ، فنجد أن طالب البكالوريا في مادة الفلسفة ومناهج العلوم يعاملها بأكبر المعاملات ، فنجاحه يتوقف على إتقانه للمادة التي يتضمنها البرنامج . ولكن هذا البرنامج في المغرب ، في الستينات عندما بدأت عملية التعريب كان هناك تحدٍ واجهناه وهو : هذه البكالوريا وهذه الفلسفة بالخصوص ، هل سينزل مستواها إذا عُرِّبت، أم سنحافظ عليها ؟ فعلاً سنحافظ على المستوى وأكثر ، واحتفظنا بنفس الساعات وبنفس البرنامج الفرنسي مع تطويره وترجمته للعربية ، وأيضاً أضفنا ساعتين للفلسفة الاسلامية عموماً . فكان طلبتنا منذ الستينات ، والأخ بنسعيد وزملاؤه الذين تعرفونهم هم من هذا الجيل ، درسوا البكالوريا في هذا المستوى من المتانة . والفتُ مع زميلين آخرين كتاباً للبكالوريا في أواخر الستينات وتم تطويره فيما بعد . وأصبحنا الآن في كليات الآداب والعلوم أيضاً نجد طلبتنا في مختلف الشُعب في الأدب ، الجغرافيا ، والتاريخ يستطيعون أن يقرأوا للعروي أو الجابري أو أي كتابات تنظيرية ، لأن لهم زاداً معرفياً فلسفياً واسعاً يمكّنهم من المتابعة .

بطبيعة الحال ، في مصر كان هناك فلسفة ، ولكن عندما كنا نتابع أو نقرأ كُتب الفلسفة في مصر في الستينات ونقارنها بالنسبة لما عندنا والكتاب الذي كان عندنا ، نجد انه لا يوجد مجال للمقارنة .

هذه الخميرة ، اي تكوين الطلبة في البكالوريا بمختلف اتجاهاتهم (علمي ، أدبي ، اقتصاد ، تقني) ... لا بد أنها استلزمت ساعات مثقلة وثمينة من الدراسات الفلسفية ومناهج علم الاجتماع ، وعلم النفس والقضايا الأساسية في كل العلوم . أي نوع من دائرة المعارف الفلسفية يطالب الطالب بأن يقرأها ، ولا يجتاز الامتحان إلا إذا كان كُفئاً ، وهذه المسألة تنطبق أيضاً على تونس والجزائر .

هذا الجانب التربوي التعليمي له دور كبير ، ولذلك تجد في النقد الأدبي عندنا وفي التخصصات الأخرى نوعاً من الميل إلى التنظير ، أو على الأقل فهم الكتابات التنظيرية وسهولة التعامل معها .

هذه إضافة كان لا بد منها .

○ **د. غالي شكري** : أريد أن أضيف ملاحظة لما قاله د. الجابري فيما يتصل بالفلسفة وتدريسها في الثانويات ، وأعتقد أن بعض البلدان العربية لا تُدرِّس الفلسفة وعلم الاجتماع على مستوى البكالوريا . إضافة إلى هذا ، نجد أنهم في الجامعة التونسية ـ وهي أعرق بالنسبة للمغرب والجزائر ـ يُدرِّسون مناهج البحث العلمي وطريقة التفكير العلمي كمادة مستقلة،فمثلاً في قسم التاريخ عندما يذهب طلبة الثانوية إلى الجامعة ،وهم يعتقدون أن التاريخ هو سرد قصص وحكايات، فأول ما يفاجئهم الأستاذ بأن هذا ليس هو التاريخ ، إنما المنهج العلمي يقتضي كذا وكذا ... فيكلفون بعروض وبحوث عن كل المجلات العلمية التي تتصل بالتاريخ الوسيط ،أو الأدب المقارن... الخ ، حتى يعرفوا ، ولو بالأسماء ، كل العناوين المتعلقة بالعلم الذي يدرسونه ، وهذا مهم جداً في تكوين المنهجية .

○ **د. عابد الجابري** : أضيف فكرة أخرى لا بد من إبرازها بالنسبة للجامعة . على كل حال الجامعة المغربية غير مستقلة إدارياً ولا مالياً ، ولكنها عموماً مستقلة تربوياً . فالأساتذة هم الذين يضعون البرامج ويُدرِّسونها . في هذا الاطار حرصنا على أن يكون حضور الفلسفة حضوراً فعلياً في جميع الشُعب ، فقررنا على أن تخصص كل شعبة ساعتين اسبوعياً للفلسفة والمنطق والابستمولوجيا . والإقبال شديد على هذا الميدان ، وحضور شُعبة الفلسفة وأساتذتها في الشُعب الأخرى مستمر ومتواصل ، وبالتالي فالتفاعل والتعميم ، تعميم الفكر النقدي والفكر النظري ، مسألتان ظاهرتان بشكل واضح . فالدكتور بنسعيد مثلاً يُدرِّس في شُعبة اللغة العربية دروس الفلسفة ، كما يُدرِّس في شعبة الفلسفة أيضاً . فهذا ـ كما أقول ـ نوع من الاستقلالية التربوية، لا رقابة على وجود برامج ...

وكذلك بالنسبة للشُعب الأخرى : التاريخ ، الجغرافيا .. فيها تداخلات مع شُعبتنا ، بحيث تعطي في النهاية للمجتهد والموهوب أن يخرج بزاد لا بأس به ، ومعرفة متعددة النظرة .

● **أ. السيد يسين** : أريد أن أسأل د. غالي شكري ، باعتباره كاتباً وباحثاً شرقياً ، كيف يصف المشهد الفكري المغربي الراهن ؟ كيف تراه ؟ وما هي الفروق في نظرك بين الفكر المغربي الراهن والفكر المشرقي الراهن ؟

○ **د. غالي شكري** : مع احترامي الكامل لكل ما قيل الآن ، إلا أن السؤال الذي طرحته لم تتم الاجابة عليه بعد . فالمشهد الفكري المغربي ليس مجرد الفكر الجامعي ، الفكر الأكاديمي ، الفكر الذي كتبه أساتذة الفصول ، لا يجوز أن نفصل بين ما يدور في الحلقات الضيقة من المفكرين والمثقفين ، والفكر المغربي . انا أظن أن السطح السياسي للحياة الاجتماعية المغربية مليء بالتيارات الفكرية ، وأظن أن هناك تياراً إسلامياً بارزاً له تنويعات مختلفة في الأقطار الثلاثة .

ولقد أتيح لي أن أعمل ـ وهذا يشرفني كثيراً ـ في الجامعة التونسية لسنوات عدة ، وقد حاضرت في عدة جامعات جزائرية في فترات مختلفة ، ورأيت وسمعت ولمست بنفسي أن هناك تياراً إسلامياً متعدد الروافد ، ومتعدد الجداول ، وشديد الأهمية ، لا اجد له جذوراً في الطرح الذي استمعنا إليه الآن . كذلك هناك تيار قومي عربي موجود ، يمكن أن تكون تنويعاته أكثر تجانساً من التيار الاسلامي ، ولكنه موجود في حجم لا يبلغ من الاتساع نفس مدى التيار الاسلامي، ولكنه موجود. فما هي أيضاً جذوره الفكرية داخل هذه الطروحات ؟ يعني قرأنا التوسير ، ميشيل فوكو .. ما هي علاقة هذا الفكر بالفكر المغربي فعلاً الذي يعبىء الشباب في حركات

إجتماعية وسياسية منظورة أو غير منظورة ، في أحزاب أو باستقلال عن حركة الأحزاب ؟ بالنسبة للطرح الذي قيل ، تستوقفني الكلمة الشجاعة التي قالها د. الجابري من أن هناك إشكالية بالفعل « إشكالية الابداع » . إلى أي مدى استطاع منهجياً أن يأخذ من الغربي ، وأن يستغني عنه في لحظة واحدة ؟ أقصى ما وصل إليه المفكرون المغاربة الأصلاء ، الكبار ، المبدعون ، هو أن السياق الدلالي لمجموعة الانساق المعرفية متجانس . أي لا تجد تنافراً في داخل الجهاز أو مجموعة أدوات البحث ، ولكني لاحظت في عدة كتابات أخرى أنه يأخذ من فوكو ما يتناقض كلياً مع جزئية عند التوسير في سياق واحد ، وكأنهما غير متناقضين ، وكأنهما مقدمة تؤدي لنتيجة محددة ، وهذا خطر داخلي في البنية المعرفية نفسها . لكن السؤال ـ الاشكالية ليس هو الابداع فقط ، وإنما امتداد هذا الفكر النخبوي إلى الفكر الاجتماعي والسياسي داخل الحركة الاجتماعية السياسية المغربية . هذا ما أحب أن أستفيد به من الاستماع إلى الزملاء المغاربة .

● أ. **السيد يسين** : د. هشام جعيط تفضل.

○ **د. هشام جعيط** : أود أن أضيف إلى ما قاله الأخ د. شكري . أنا أوافقه عندما يقول إن المفكرين المغاربة غير مبدعين من الوجهة المنهجية،وأزيد على هذا أكثر ـ وأرجع لما قاله د. الجابري نفسه في عملية نقد ذاتي للفكر المغربي ـ في الحقيقة أنا متخوف على الفكر المغربي ، وقلق (مقلوق) من كثرة الأخذ عن وادي الفكر الفرنسي . هناك من يتبع منهج فوكو، هناك من يتبع منهج بارت ، وخصوصاً عند الشباب ، ويقفون عند هذا المؤلف أو ذاك،وتصير المسألة مسألة تطبيق أفكار هذا المؤلف أو ذاك . في الحقيقة أنا في الأصل مقلوق من هذا ، وهو ما يجعل بعض المشارقة ينبهرون بالفكر المغربي ، أي حسن أو جودة المعرفة بالثقافة الأوروبية ، هذا ما اعتقده نقصاً في الفكر المغربي ، ولا أشك في ذلك .

ما يعجبني في الفكر المغربي وأعتز به هو سعة الثقافة ، سواء العربية أم الأوروبية . وفي بعض الأحيان عند رواد هذا الفكر ، المقدرة على عدم التبعية التامة ، ونقد هذا الفكر الغربي المأخوذ عنه أو تخطيه إلى حد ما ، وهذا أمر جيد ، لأنه يجب ان لا ننسى شيئاً مهماً وهو أن الفكر المشرقي ـ في السابق ـ وكان هو الرائد والمركزي ، لم يفهم الثقافة الغربية الى حد كبير . أنا في الحقيقة ـ مثلاً ـ مُعجب بطه حسين ، لكنني معجب بطه حسين عندما يتكلم كعربي أصيل ، إنما عندما اقرأ كلام طه حسين عن ابن خلدون أو شيء من هذا لا يعجبني ، لأني أعتقد أنه لم يفهم ابن خلدون ، ولم يفهم السسيولوجيا . وأعتقد أنه فيما يخص تعامل طه حسين مع الثقافة الغربية فهو لم يفهمها كما يجب.

هذا الفهم الجيد للثقافة الغربية يتضمن خطراً أكبر واشد ، وهو اتباع « الموضات » ، و « الموضات » الباريسية . أنا لست من الناس الذين يحبون اتباع الموضات ، والحمد لله انني فيما يخصني شخصياً أكون كلاسيكياً إلى حد بعيد في تتبعي للثقافة الغربية . فلم أصب بعشق الألسنية في مكوّناتها المتعددة ، أو في هذا أو ذاك الكاتب . ولكن هذا الخطر وخصوصاً عند الشباب ، عند رواد مشائخ الفكر المغربي . هناك طبعاً إمكانية تجاوز نجدها بسهولة كبيرة ، ولكن عند كثير من الشباب صارت الموضات ، وهذا يجب تخطيه ، ويجب حتى على شيوخ الفكر المغربي ـ وهم ليسوا بشيوخ من ناحية السن ـ أن يتخطوا فترة التتلمذ الأولى أكثر مما تخطوا في السابق ، وأن يزداد طموحهم ، وأن يكون هذا الطموح أكثر اعتماداً على الذات مما كان ، وهذا ممكن لأن رواد الفكر المغربي المعروفين ما زالوا قادرين على العطاء وعلى التطور .

● أ . **السيد يسين** : لو سمحتم لي ، فأنا أعتقد أن هناك نقطة تحتاج إلى تعليق . ما ذكره د. هشام جعيط بالغ الأهمية في مسألة أجيال الشباب وافتتانها بالمناهج الحديثة . ولكن أريد أيضاً أن

أشير إلى قضية تناقش الآن في مصر، وهي مسألة التبعية العلمية والثقافية . هذه المسألة في غاية الخطورة لو أُخذت على إطلاقها ، لأننا لا بد أن نتحدث عن وحدة الثقافة الانسانية .

القضية الخطيرة كما أشار إليها د. هشام جعيط في مسألة المنهج ، هناك ما يمكن أن نسميه التطبيق الميكانيكي لمنهج ما ، والتطبيق الخلاق . هذه مسألة بالغة الأهميـة ، ونقده ينصب على التطبيق الميكانيكي ، اي أن تأخذ المنهج كمجموعة قوالب جامدة وتحاول أن تطبقها بشكل فج على مادة ما ، إنما أعتقد أن المحاولات التي قرأناها للجابري ولغيـره . من جيل الشبـاب مثل سعيـد بنسعيد ، تكشف ان هناك ما أسميه تطبيقاً خلاقاً للمنهج . وإذا أردت أن أشير إشارة واضحة إلى مدرسة تحليل الخطاب الفرنسي على سبيل المثال ، فهناك قواعد منهجية للمدرسة ، وهناك تطبيقات على التراث الفرنسي سواء تراث الثورة الفرنسية أم غيرها . لكن حينما وجدنا التطبيقات العربية في المنهج وجدناها تطبيقات خلاقة . لأن الباحث المبدع استطاع أن يستفيد من المُوجِّهات النـظرية والمنهجية لمدرسة فكرية ما ، أو لمنهج محدد ، بغير أن يتعسف في تطبيقها بشكل ميكانيكي وجامد ، أعتقد هذا التحذير الذي أثاره د. هشام جعيط مشروع تماماً ؛ وخصوصاً محاولة التأثر وبشكل أحياناً بعدم فهم كامل لنشأة المنهج أو جذوره الايديولوجية أو تطبيقاته بشكل معين . من هنا أهمية التركيز على تكييف المناهج بما يتناسب مع المادة التراثية الموجودة .

د. غالي شكري . تفضل ...

○ **د. غالي شكري**: ومع ذلك،وهنا ـ أريد استكمال حديثك ـ تتفاوت أعمال الزملاء الذين ذكرتهم وفي مقدمتهم د. الجابري نفسه،فمثلاً كتاب **الخطاب العربي المعاصر**،تجربته المنهجيـة تختلف كثيراً عن تجربته في **تكوين العقل العربي**،الاضافة السريعة التي أريدها هي أن من نتائج المشهد الفكري ظاهرة سلبية وأخرى إيجابية،وسوف آخذ الظاهرة السلبية من المغرب الأقصى.

النقد الأدبي مزدهر جداً في المغرب الأقصى ، بمعنى أن ترجمة المصطلحات المأخوذة عن الألسنية والبنيوية أصبحت شائعة ، بل نُقِلت في كثير من الأحيان الى المشرق . هذا صحيح ، ولكن أين الحركة الأدبية المواكبة لهذا النقد في المغرب الأقصى ؟ هذه قضية خطيرة . لماذا ؟ لأنك إذا أخذت أدوات فقط من الأجنبي ، فالمادة الوطنية المفترض أنك تطبق عليهـا هذه الأدوات تـطبيقاً خلاقاً ـ كما قال أ. سيد يسين ـ غير موجودة . فالحركة الأدبية المغربية، يعني الإستثناءات النادرة التي نعرفها ، لا تشكل حركة أدبية . هذه نقطة . نقطة أخرى هي قضية اللغة . أنا اظن أن المغرب العربي مرشح على الصعيد الثقافي لابداع لغوي بالغ الأهمية . التحدي الفرنسي للغة العـربية ، وتحدي العاميات الدارجة في اقطار المغرب العربي ، هذه التحديات كلها أظن أن الأدب ، وخصوصاً الشعر ، هو تقطير لما ينجزه شعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات ، انا أظن أن أقطار المغرب العربي على وشك أن تعطي تجربة لغوية نادرة في مجال الأدب ، عنوانها البسيط أن شاعراً كبيراً مثل عبد اللطيف اللُعبي بدأ يكتب بالعربية ، وهو الذي حتى وقت قريب كان لا يكتب بغير الفرنسية . يكتب ماذا ؟ يكتب شعراً ، هو شاعر كبير ويكتب شعراً الآن باللغة العربية .

روائي كبير في الجزائر هو الأستاذ « رشيد بوجدره » كتب ١٠ روايات بالفرنسية ، بدأ يكتب الآن بالعربية ، وقد صدرت له رواية بالفعل على درجة عالية من الكفاءة اللغوية .

كل هذه مؤشرات إلى أن المستقبل اللغوي للفكر المغربي سيعطي منجزات بالغة الثراء ، تؤثّر بالفعل إيجابياً .

بالنسبة لمصر وموقفها من الثقافة الغربية ، هذا موضوع كبير . ولن أدخل مع د. هشام جعيط في نقاش مصري ـ مغربي إطلاقاً . هناك كثيرون في مصر من الكتّاب لم يفهموا الثقافة الغربية ،

ولكن هناك كثيرون جداً فهموا هذه الثقافة ، مثل توفيق الحكيم ، محمد مندور ، لويس عوض ، وفي ظني أن طه حسين فهم هذه الثقافة . ولكن ما يميز مصر في هذا المجال هو التراكم المعرفي خلال ١٥٠ عاماً ، كانت التفاعلات مع الثقافة الغربية تُثمر فكراً وطنيا محلياً تثور حوله المعارك التي تشعل « الشارع الشعبي » وليس « الشارع الثقافي » . فمثلاً كتاب **في الشعر الجاهلي** لطه حسين وهو كتاب تجده بسيطاً الآن، ولكنه في زمنه أثار معارك جددت الوجدان الفكري للناس تجديداً خلاقاً . هذا مجرد مثل بين عدد من الأمثلة ، ولكن التراكم المعرفي خلال ١٥٠ سنة من رفاعة رافع الطهطاوي الى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام ، يخلق بناء في الثقافة المصرية منفتحاً على الثقافة الغربية غير تابع ، وأنا اتبنّى فكرة وحدة الثقافة الانسانية، لأن الألفاظ أو المصطلحات الشائعة عن « الغزو الثقافي » يجب أن يعاد فيها النظر بشكل عميق وشجاع . شكراً .

● **أ. السيد ياسين** : د. سعيد بنسعيد .. تفضل .

○ **د. سعيد بنسعيد** : لديّ تعقيب صغير على ما ذكره د. هشام جعيط حول الخوف من الإنبهار بأسماء معينة قد تكون ـ بتقدير متواضع ـ قيمتها العلمية هي من الدرجة الثانية أو الثالثة .

في موضوع الحوار وهذه الصلة بين المشرق والمغرب ، اريد أن أرجع إلى مفكر مشرقي مصري نحبه ونقدره جميعاً وهو « أنور عبد الملك » الذي يكتب عن ضرورة ومغامرة الإبداع ، ولكنه كما نعلم يتحدث عن مغامرة الإبداع بالنسبة للعالم الثالث عموماً حتى لا يكون تابعاً . في تقديري أنه يمكن الحديث عن مغامرة الإبداع ، لا بالنسبة للعالم الثالث عموماً ، ولكن بالنسبة للوطن العربي خصوصاً . كيف تكون مغامرة الابداع ؟ مغامرة الإبداع تكون أولاً بالاقبال الشجاع ، وأنا مع الأستاذ يسين بالنسبة لوحدة الثقافة وشمولية الثقافة الإنسانية . فالثقافة ينبغي أن تكون أبواباً ونوافذ مشرعة ، وأحب دائما أن أقول إن المناعة محمودة في الطب ، ولكنها مذمومة ومكروهة في الثقافة . والجسم الثقافي هو جسم مريض اذا حصّن نفسه ، أو حقن نفسه بمناعة . فلا بد من الإقتباس والانفتاح على الثقافة الانسانية الشمولية ، ولكن أيضاً لا بد من الانشغال بمشكلات الانسان العربي وبقضايا العصر التي يعيشها مثل قضايا المواطن العربي : القضايا الديمقراطية الثقافية المختلفة. وأيضاً كل الذين نعجب بهم ممن ذكرت أسماؤهم في هذه الجلسة وممن لم تذكر اسماؤهم ومنهم حاضرون معنا، وأقصد د. جعيط ود. جابري على وجه التحديد، لم يستطيعوا أن يجددوا إلا لأنهم لم يديروا ظهرهم للثقافة العربية الإسلامية في العصر الوسيط ، لهذا الذي نسميه بالتراث العربي الاسلامي .

إذن ، فالإبداع الثقافي هو إبداع ثلاثي الأبعاد : ١ ـ الإنفتاح ومزيد من الإنفتاح على الثقافة الانسانية الشمولية . ٢ ـ رفض الإنغلاق في مذهب بعينه ومعانقة قضايا العصر . ٣ ـ الايمان بدرجة الربط الصحيح والسليم بين تراثنا الثقافي العربي ـ الإسلامي وهمومنا الإنسانية الحاضرة ، وشكراً.

● **أ. السيد يسين** : شكراً يا دكتور . د. البوني تفضل .

○ **د. عفيف البوني** : هناك كثير من المفكرين العرب ، مغاربة ومشارقة ، في إمكاني بثقافتي او بزادي المتواضع أن أنقدهم . ولكن مثلاً ـ ونحن نتكلم عن المغرب العربي ـ إذا أردت أن أنقد أو أتطاول على د. الجابري ، ود. جعيط قبل أن ألج هذا الباب الصعب ، علي أن أقرأ ما قرأوه واستندوا إليه حتى استخرجوا النتائج التي انتهوا إليها ، هذا إذا افترضنا أن لي نفس الزاد ونفس المستوى المعرفي اللذين يملكانه . ومن هنا تأتي ربما صعوبة السهل الممتنع والمقترنة بالإعجاب بهذا الفكر . هذا تعليقاً على ما كان يقال . أريد أن أرجع إلى الأسئلة التي طرحها د. شكري وربما أجبنا عنها في إطار من التعميم وليس بالدقة التي يريدها هو. في بداية هذا النقاش والندوة، اردنا ان نتكلم

عن المغرب والإسهام المغربي،وكأن هناك مغرب ومشرق يفصل بينهما بحر.في الحقيقة لا يوجد مثل هذا البحر، وإن وجدت الصحراء والحدود، والرقيب الذي يمنع وصول الكتب... إلخ. أنا محروم من دراسة الكتاب الأخير للدكتور الجابري **بنية العقل العربي** حتى هذه الساعة. فهذا التقصير هو مجرد تقصير منهجي لكي يتعرف إخواننا في المشرق على رأي بعض الإخوان المغاربة عن إسهامهم أو إسهام غيرهم في هذه المسألة . وأريد أن أركز ، رغم هذا التحديد وهذا الفصل على أن الثقافة العربية واحدة ، وما يكتبه زيد من المغرب ، وما يكتبه عمر من المشرق هو كل متكامل ومتفاعل ، فقد تختلف التجربة الذاتية للشخص ويختلف المناخ الموضوعي للقطر أو للمغرب العربي عن المشرق العربي في بعض القضايا ، فقط .

والملاحظة الأخرى التي أريد أن أسجلها في حديث د. غالي هي أنه مدح بعض كتّاب المغرب العربي بالنسبة للدقة ، وتنبأ بتطور في الكتابة العربية... الخ. أنا أرجع هذه القضية إلى أن الكتّاب المغاربة عموماً ، أو في أغلبيتهم ، يتقنون اللغة الفرنسية ، وبالتالي حينما يكتبون بالعربية ، وإذا كانوا متمكنين منها ويشغلهم همّ عربي يكتبون عنه ، فهم يكتبون بدقة ما تعلموه من الألفاظ الفرنسية . يتجنبون الخطاب والإنشاء ويحاولون أن يعطوا للكلمة أو يستحضروا معناها القاموسي والتاريخي ، ومعناها الرائج أو الشائع ، ثم كيف سيتقبلها القارىء هنا وهناك ، أي أنهم يتأكدون من هذه القضية قبل ان يجازفوا بالكتابة . وربما هذا هو المعنى الذي يعطي لكتابتهم شيئاً من الدقة . وهذا لا يعني انه في المشرق العربي لا يوجد هذا الامر . فهو يوجد ، فهناك الجيد و السيىء في نفس الوقت. حتى في المغرب ، هناك السيىء والجيد .أريد أن أرجع للسؤال الأول الذي طرحه د. غالي شكري حول تجربته في تونس كأستاذ جامعي درّس طلبة ، وبعضهم يفكر إسلاماوياً أو إسلامياً ، وبعضهم يفكر قومياً . هناك تيارات بالتأكيد ، وهذه التيارات إما أننا اخذناها عن الثقافة الفرنسية أو عن المشرق العربي عن طريق الترجمة والابداع المشرقي . في الحقيقة هو درس وتلمس التجربة التونسية عن قرب في زمن الثورة الايرانية المسروقة ، التي سرقت منذ كان الخميني في باريس قبل عدة شهور من رجوعه . لقد طرح الأخ غالي هذه الإشكالية : لماذا هذا الفكر المنهجي وأنتم تدرسون المنهجية والفلسفة والمنطق ... الخ في الثانوية وفي الجامعة ، ومع ذلك هناك رجعة ، هناك تآمر على القرن العشرين في هذه النقطة ؟ لماذا ؟

هو يتساءل وأنا سأحاول أن أقدم اجابة.

لقد قلت ان المغرب والمشرق في النهاية هما منطقة واحدة ، هما مغرب واحد ومشرق واحد ، السبب في ظني لأنني اقرأ للمشرق وللمغرب واقرأ بالفرنسية وعشت مناضلاً في إطار الكلية وما زلت ، ازعم أني حينما اقرأ أختار ما أقرأ لكي أكون هادفاً ومواطناً عربياً صالحاً .

ما ارتكب عندكم من جرائم بحق الأمة العربية في مصر تكرر عندنا ، فقط الفارق عدة أشهر أو عدة سنوات ، ما ارتكب عندكم ضد حركة التحرر في المشرق ، ضد التقدم ... الخ هو نفس ما تكرر في المغرب العربي ، ولا أريد هنا أن أخصّص وأن أسمي .

تكررت هذه التجربة مثلاً : في بعض البلدان المغربية، كان النظام شبه علماني ، على الأقل في الخطاب وفي بعض الممارسات ، أصبح الطلبة يجدون في كل فصل مسجداً ، والحركة الإسلامية تطبع كراساتها في مقرات الدولة الرسمية ، وتوزع وتنشر ... لماذا ؟ لمحاربة الشيوعية والقومية العربية . وتم هذا بشكل غير عادي ، فالحركات هذه لم تنشأ نشأة طبيعية ولم تولد ولادة طبيعية . فمنذ السبعينات على الأقل حدث هذا في مصر،ويحدث في غير مصر وغير تونس.نشأ هذا الامر في إطار مكافحة حركة التقدم في المنطقة وحركة الوحدة وحركة الاشتراكية والعقل والعقلانية لغايات

معينة . مع قيام الثورة الإيرانية ، وقع التفكير من طرف هذه التوجهات أنه الآن ، وقد شيّعنا جثمان القومية العربية مع عبد الناصر ومع البعث والإنقسامات ومع المشاكل والتردي الذي حدث في المشرق، يمكن ان نتقدم لملء الفراغ . نحن نتأثر به ربما بنفس القدر وبأعمق مما في المشرق ، وذلك ربما لأننا لم نستعد قبله للمأساة . لقد حدث ما حدث وأصبح هذا التيار المسنود عالمياً والمسنود طائفياً في منطقتنا العربية ، أصبح يكاد يهيمن أو أصبح يطرح نفسه بوصفه البديل .

● أ. **السيد يسين** : أعتقد أننا وصلنا إلى نهاية الندوة ، وأعتقد أن بعض ما طرح من إشكاليات تحتاج إلى ندوة مستقلة، وخصوصاً الإنفصال بين الفكر النخبوي العربي ، وبين الفكر الاجتماعي والسياسي السائد بين الجماهير والذي يؤثر على اتجاهات الجماهير .

ما هو سبب هذه الفجوة ، وهذا الإنفصال ؟ هذه قضية بالغة الخطورة وتحتاج إلى مناقشات أخرى وإلى ندوات أخرى. وأعطي الكلمة للدكتور محمد عابد الجابري .

○ د. **عابد الجابري** : في الحقيقة هناك الآن نوعان من الجماهير : الجماهير كبيرة السن ، والجماهير صغيرة السن.والجماهير صغيرة السن منخرطة معنا بشكل أو بآخر،سواء أكانت تنتمي إلى تيارات إسلامية أم لا،بحكم أنها تعلمت ومنخرطة في التيارات الفكرية المعاصرة ، وهي جماهير الغد،وهذا هو المهم. طبعاً الجماهير كبيرة السن هي جماهير أمية وهذا معروف . أنا أقل تشاؤماً من الأخ هشام ، وباقي الإخوان وخصوصاً الشبان المنخرطون بعنف وربما بعدم التحرز في استعمال وتوظيف المفاهيم الغربية ، وهذه صعوبة كبيرة في فهم ما يكتبون . ويلاحظ خصوصاً الذين ينتقدون النقد الأدبي ، ينتقدون أو يمارسون النقد الأدبي بدون أن يكون هناك أدب . هذا كله صحيح ، ومع هذا فإنه من خلال لقاءاتي مع الشباب في المغرب وتونس والجزائر أجد لهم تطلعات مهمة جداً، فهذه الثورة أو هذه الطفولة المعرفية ـ إذا شئنا أن نستعمل مثل هذا التعبير ـ لا بد أن تفرز شيئاً إيجابياً في المستقبل .

وهناك إسلاميون ردّوا علينا ، وسرني كثيراً أن ردوا عليّ مستعملين نفس المعايير التي استعملها ، وهذا مكسب . الناحية الايديولوجية لا تهمني ، وهناك إسلاميون أيضاً يحاولون أن يرتقوا بأنفسهم وبمعارفهم ومناهجهم الى المستوى الذي يواجهون به هذا الشخص ، أو ذاك . طبعاً يختلف الأمر في تونس عنه في المغرب أو الجزائر ، ولكن مع ذلك ، وبكيفية عامة ، أنا متفائل بشأن الجيل الصاعد المختلف في تكويناته واتجاهاته .

○ د. **غالي شكري** .. سؤال ..

● أ. **السيد يسين** : تفضل .

○ د. **غالي شكري** : هذا السؤال أوجهه للزملاء المغاربة . هل هناك قطيعة إبستمولوجية بين هذه الرموز ، عبد الكريم الخطيبي، الأمير عبد القادر ، ابن باديس ، السنوسية ، وبين المشهد الفكري المعاصر في المغرب العربي . لماذا ؟

● أ. **السيد يسين** : هذه أسئلة تحتاج لندوة أخرى ، في نهاية هذه الندوة أشكركم جميعاً □